أذكار مأثورات
لتفريج الكربات

دكتور
أحمد مصطفى متولي

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِلُطْفِهِ السَّحَابَ ، فَرَوَّى الأَوْدِيَةَ وَالْهِضَابَ ، وَأَنْبَتَ الْحَدَائِقَ وَأَخْرَجَ الأَعْنَابَ، يَبْتَلِي لِيُدْعَى وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ ، قَضَى عَلَى آدَمَ بِالذَّنْبِ ثُمَّ وفَّقَهُ للتَّوبَةِ فَتَاب ، ورفع إدريس بلطفه إِلَى أَكْرَمِ جَنَابٍ ، وَأَرْسَلَ الطُّوفَانَ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ كالْعُجَابِ ، وَنَجَّى الْخَلِيلَ مِنْ نَارٍ شَدِيدَةِ الإلتهاب ، وكانت سَلامَةُ يُوسُفَ عِبْرَةً لأُولِي الأَلْبَاب ، وَشَدَّدَ الْبَلاءَ عَلَى أَيُّوبَ فَفَارَقَهُ الأَهْلُ وَالأَصْحَابُ ، وَعَضَّهُ الْبَلاءُ إلى أن كل الظُّفْرَ وَالنَّابَ ، فَنَادَى مُسْتَغِيثًا بِالْمَوْلَى فَجَاءَ

الْجَوَابُ {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [1]

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَخْلَصَ وَأَنَابَ ، وَأُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ أَفْضَلِ نَبِيٍّ نَزَلَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ كِتَابٍ ، وعلى صاحبه أبي بكر مقدم الأصحاب ، وَعَلَى الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعَلَى عُثْمَانَ شَهِيدِ الدَّارِ وَقَتِيلِ الْمِحْرَابِ ، وَعَلَى عَلِيٍّ الْمَهِيبِ وَمَا سَلَّ سَيْفًا بَعْدُ مِنْ قِرَابٍ.

ليس لنا في الأزمات إلا الله وحده : إذا حلَّ الهم ، وخيَّم الغم ، واشتد الكرب ، وعظم الخطب ، وضاقت السبل ، وبارت الحيل ،

---

[1] [ص : ٤٢]

نادى المنادي : يا الله ... يا الله : ((لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)) ، فيفرّج الهم ، ويُنفّس الكرب ، ويُذلل الصعب : " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" ،]وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ[. إذا اشتد المرض بالمريض ، وضعف جسمه ، وشحب لونه ، وقلّت حيلته ، وضعفت وسيلته ، وعجز الطبيب ، وحار المداوي ، وجزعت النفس ، ورجفت اليد ، ووجف القلب ، انطرح المريض ، واتجه العليل إلى العلي الجليل ، ونادى: يا الله... يا

الله ، فزال الداء ، ودبَّ الشفاء ، وسُمع الدعاء : " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ. "

قال ابن رجب رحمه الله يقول: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه و لم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة يقول لها إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خيرا لأُجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه، فلذلك يسرع إليه حين إذ

إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر.

وفي الضراعة سرٌّ جليلٌ: وذلك أن القدر والدعاء يلتقيان فيعتلجان، وتلك المغالبة والمدافعة بين القدر والدعاء=تدلُّك على حاجة الضراعة إلى من يؤازرها؛ لتدفع القدر بالقدر، ولا زادَ أعظمُ من الثناء على الله؛ فليس يثقل مع اسم الله تعالى شيء، فيكون الظفر لموكب الضراعة على موكب القدر ، بقدر الله تعالى وفضله، كلما كان موكب الضراعة مثقلًا بالثناء على الله تبارك اسمه. وانظر من بعد ذلك إلى أدعية الكرب، وقد كادت تخلص كلها

للثناء على الله تعالى، توحيدًا وتنزيها وتعظيما! لا إله إلا أنت سبحانك! إني كنت من الظالمين!

المواساة وتفريج الكُرب : جاء رجل إلى يونس بن عبيد رحمه الله، فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا منه بذلك، فقال له يونس: أيسرّك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا. قال: فسمعك الذي تسمع به يسرّك به مائة ألف؟ قال: لا. قال: فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا. قال: فيَداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا. قال: فرجلاك؟ قال: فذكّره نِعَمَ الله – عزَّ وجلَّ – عليه، فأقبل

عليه يونس، فقال: أرى لك مئين ألوفًا، وأنت تشكو الحاجة[١]

الحمدُ لله نِعمَ القادرُ اللهُ
الخيرُ أجمَع فيما يَصنع اللهُ
إنَّ البلايا بأقوام موكَّلةٌ
هي البلايا ولكِنْ حسبُنا اللهُ
كذا قَضى الله فاستسلِم لقُدرته
ما لامرِئٍ حيلةٌ فيما قَضى اللهُ
إذا ابتُليتَ فثِق بالله وارضَ به
إن الذي يَكشف البلوى هو اللهُ

---

[١] صفة الصفوة: ٢١٨/٣

دَع ما سوى اللهِ كلُّ عنكَ ذو عِللٍ
اللهِ حسبُك مِن كلٍّ لكَ اللهُ

كَم من همومٍ وأحزانٍ بُليتَ بها
حلَّت عليَّ فكان الكافِيَ اللهُ

يا صاحب الهمِّ إنَّ الهم منفرجٌ
أبشر بخيرٍ كأَنْ قد فرَّجَ اللهُ

* * * *

والآن مع

أذكار مأثورات.. لتفريج الكربات

شهادةُ التَّوحيدِ مُفَرِّجَةٌ للكُرُبَاتِ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْــهُ أن رســول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول عِنْدَ الكَرْبِ: " لا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا اللهُ، ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إله إلا اللهُ ربُّ السماواتِ، وربُّ الأرضِ، وربُّ العرشِ الكريمِ" [١]

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " كلِماتُ الفَرَجِ: لا إلــهَ إلا اللهُ الحَليمُ الكَريمُ، لا إلــهَ إلا اللهُ العلــيُّ

---

[١] صحيح، الروض النضير (٦٧٩)

العظيمُ، لا إلَه إلا الله رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ، ورَبُّ العرْشِ العظيم " [١]

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: لقنني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء الكلمات وأمرني إذا أصابني كرب أو شدة أن أقولهن: " لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، وتبارك رب العرش العظيم، والحمدُ لله ربِّ العالمين " [٢]

---

[١] الصحيحة ٢٠٤٥.

[٢] حسن صحيح ــ ((الروض النضير)) (٦٧٩).

كَلِمَاتٌ يسيرات . . سببٌ في تفريج الكُرُبات:

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أُمِّهِ أَسْمَاءَ ابْنَةِ عُمَيْسٍ قَالَتْ «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١)

(ألا أعلمك) بكسر الكاف خطابًا لمؤنث بخط المصنف. (كلمات تقوليهن عند الكرب) هو ما يدهم الإنسان ويأخذ بنفسه فيحزنه ويغمه.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٩)، وأبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجة (٣٨٨٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٣٢).

(الله الله ربي لا أشرك به شيئًا) وتقدم أنها تقال ثلاث مرات، وذلك أن الكروب ترد على النفوس من آثار الذنوب، وأدران الشهوات، فإذا جليت بكلمة التوحيد مع الإخلاص، والإقرار بالإلهية، ونفي الشريك غسلت تلك الأوساخ وأذهبت تلك الكروب وأنارت القلب. [١]

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٣٧٠)

دُعاءٌ عند الخروجِ مـــن البيـــوت . . هدايـــةٌ وكفايةٌ ووقايةٌ بإذن ذي العزة والملكوت:

وَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ فَيَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ. وَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ، وَوُقِـــيَ» ". رَوَاهُ أَبُـــو دَاوُدَ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ إِلَى قَوْلِهِ: " لَهُ الشَّيْطَانُ ".

(وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " إِذَا خَرَجَ رَجُـــلٌ ") : فِـــي نُسْخَةٍ (الرَّجُلُ) وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ (" مِنْ بَيْتِهِ،

فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ ") : أَيْ: يُنَادِيهِ مَلَكٌ يَا عَبْدَ اللَّهِ (" هُدِيتَ ") : أَيْ طَرِيقَ الْحَقِّ (" وَكُفِيتَ ") : أَيْ: هَمَّكَ (" وَوُقِيتَ ") : أَيْ: حُفِظْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَفِي رِوَايَةٍ (حُمِيتَ) قَبْلَ الثَّلَاثَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَشَارَ الطِّيبِيُّ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ لَفًّا وَنَشْرًا مُرَتَّبًا حَيْثُ قَالَ: هُدِيَ بِوَاسِطَةِ التَّبَرُّكِ بِاسْمِ اللَّهِ، وَكُفِيَ مُهِمَّاتِهِ بِوَاسِطَةِ التَّوَكُّلِ، وَوُقِيَ بِوَاسِطَةِ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ وَهُوَ مَعْنًى حَسَنٌ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمَعْنَاهُ أَيْ: إِذَا اسْتَعَانَ الْعَبْدُ بِاللَّهِ وَبِاسْمِهِ الْمُبَارَكِ هَدَاهُ اللَّهُ وَأَرْشَدَهُ وَأَعَانَهُ فِي

الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَكُونُ حَسْبُهُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، وَمَنْ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ، (فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ) : أَيْ: يَبْتَعِدُ عَنْهُ إِبْلِيسُ أَوْ شَيْطَانُهُ الْمُوكَلُ عَلَيْهِ، فَيَتَنَحَّى لَهُ عَنِ الطَّرِيقِ (وَيَقُولُ) : أَيْ: لِلْمُتَنَحِّي (شَيْطَانٌ آخَرُ) : تَسْلِيَةً لِلْأَوَّلِ أَوْ تَعَجُّبًا مِنْ تَعَرُّضِهِ (كَيْفَ) : وَفِي نُسْخَةٍ وَكَيْفَ (لَكَ بِرَجُلٍ) : أَيْ: بِإِضْلَالِ رَجُلٍ (قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ) : أَيْ: مِنَ الشَّيَاطِينِ أَجْمَعِينَ بِبَرَكَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ. قَالَ الطِّيبِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: هَذِهِ تَسْلِيَةٌ، أَيْ: كَيْفَ يَتَيَسَّرُ

لَكَ الْإِغْوَاءُ مُلْتَبِسًا بِرَجُلٍ إِلَخْ. أَيْ: مَعْذُورٍ فِي تَرْكِ إِغْرَائِهِ وَالتَّنَحِّي عَنْهُ فَقَوْلُهُ: لَكَ مُتَعَلِّقٌ بِيَتَيَسَّرُ، وَبِرَجُلٍ حَالٌ اهـ(١)

الشاهد من هذا الحديث قوله: ((بسم الله توكلت علي الله)) فان في هذا دليلا علي أن الإنسان ينبغي له إذا خرج من بيته، أن يقول هذا الذكر، الذي منه التوكل علي الله والاعتصام به، لان الإنسان إذا خرج من بيته فهو عرضة لان يصيبه شئ، أو يعتدي عليه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٥)

حيوان، من عقرب أو حية أو ما أشبه ذلك، فيقول: ((بسم الله توكلت علي الله)) وسبق لنا أن التوكل علي الله، والاعتماد عليه من الثقة به وحسن الظن. وقوله: ((اللهم أني أعوذ بك أن أضل)) أي: أضل في نفسي ((أو أضل)) أي: يضلني أحد. ((أو أزل)) من الزلل: وهو الخطأ. ((أو أزل)) أي: أحد يتوصل لفعل الخطأ يصدر مني. ((أو اظلم)) او اظلم غيري. ((أو اظلم)) يظلمني غيري. ((أو اجهل)) اسفه. ((أو يجهل علي)) يسفه علي أحد، ويعتدي علي أحد. فهذا الذكر ينبغي أن يقوله الإنسان إذا خرج من بيته، لما فيه من اللجوء إلي الله سبحانه وتعالى والاعتصام به. والله

والموفق[١]

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين،سبيلٌ لتفريج كُرُباتِ المكروبين:

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعْ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له "

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٦٦-٥٦٧)

وفي رواية: " ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال: دعاء ذي النون " [١]

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في فضائل الذكر والدعاء :

«... ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله – تعالى – والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته ... فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر وأنه اسم الله الأعظم،

---

[١] الصحيحة ١٧٤٤.

فكان ذكر الله – عز وجل – والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه فالدعاء الذي يقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإذا انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل

قال العلامة السعدى:

وجعل الله التقوى والإيمان وتكرار دعوة ذي النون سببا للخروج من كل كرب وضيق وشدة، شاهده الآية السابقة، وكذلك قوله: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ - فَاسْتَجَبْنَا

لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (١)

وجعل الله الدعاء والطمع في فضله سببا لحصول جميع المطالب، دليله قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٢) وقوله: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (٣) (٤)

---

(١)[الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]

(٢)[غافر: ٦٠]

(٣)[الأعراف: ٥٦]

(٤)تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ٣٤٧)

﴿سُبْحَانَكَ﴾: أصله من التسبيح: وهو تنزيه اللَّه تعالى، أي إبعاد اللَّه تعالى عن كل سوء ونقص، المتضمِّن لكل كمال [١]

((الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان، أو بزيادة، وإمّا بعدول في وقته أو مكانه، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين اللَّه تعالى، وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق.

والثاني: ظلم بينه وبين الناس.

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه[٢]

---

[١] التسبيح في الكتاب والسنة((، ١/ ٣٥.

[٢] مفردات الراغب، ص ٥٣٧.

هذه الدعوة من الدعوات العظيمة المباركة في كتاب ربنا جل شأنه دعاء يونس عليه السلام الذي بعثه جلَّ في عُلاه إلى أهل (نينوى) من أرض موصل في العراق، وقد قصّ لنا كتاب اللَّه تعالى في عدّة مواضع عنهم كما في هذه السورة، وفي سورة (الصّافّات)، وفي سورة (ن)دلالة على أهميتها لما فيها من الحكم، والفوائد الجليلة في مصالح الدين والدنيا والآخرة، وقد ذكرت لنا التفاسير:

أن اللَّه تبارك وتعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم إلى اللَّه تعالى بالإيمان به، فأبوا عليه، ولم يؤمنوا، وتمادوا في كفرهم فوعدهم بالعذاب بعد ثلاث، ثم خرج من بين أظهرهم مغاضباً

لهم قبل أن يأمره اللَّه تعالى، فظنّ أن اللَّه تعالى لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء، فلمّا تحقّقوا من ذلك، وعلموا أنّ النبيَّ لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم... ثمّ تضرّعوا إلى اللَّه تعالى وجأروا إليه... فرفع اللَّه عنهم العذاب، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[1]

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع القوم في السفينة، فلججت بهم، وخافوا أن

---

[1] يونس، الآية: ٩٨.

يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم...فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يُلقوه، ثم أعادوها ثلاث مرات فوقعت عليه، قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[١] ، فألقى بنفسه في البحر، فأرسل اللَّه تعالى من البحر حوتاً عظيماً، فالتقم يونس، وأوحى اللَّه جلَّ شأنه ألاَّ يأكله، بل يبتلعه ليكون بطنه له سجناً[٢]

فلما صار عليه السلام في بطن الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ((قال ابن مسعود رضى الله

---

[١] الصافات، الآية ١٤١.

[٢] تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٦٤.

عنه : ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل))[١]

فاستغاث بربه السميع العليم الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض، مهما دقّت وخفت، فأنجاه اللَّه تعالى كما هي سنته مع الموحدين المخلصين الداعين .

ففي القصة من الحِكَمِ والمنافع التي تستدعي ذكرها أن قوله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا

---

[١] مصنف بن أبي شيبة، ١١/ ٥٤٢، برقم ٣٢٥٢٧، المستدرك، ٢/ ٤١٥، برقم ٣٤٤٥، وقال)) :صحيح على شرط الشيخين((، ووافقه الذهبي،

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: تضمن هذا الدعاء من كمال التوحيد والعبودية في ثلاثة مطالب عظيمة :

١ – إثبات كمال الألوهية واختصاصها باللَّه عز وجل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ .

٢ – إثبات كمال التنزيه للَّه تعالى عن كل نقصٍ، وعيبٍ ، وسوء المتضمن لكماله تعالى من كل الوجوه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ .

٣ – الاعتراف بالذنب والخطأ المتضمن لطلب المغفرة، المستلزم لكمال العبادة من الخضوع، والذل للَّه تعالى: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فتضمّن هذا الدعاء المبارك أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الألوهية المتضمِّن لتوحيد الربوبيـــة في قوله تعالى:"لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ "

- وتوحيد الأسمـــاء والـــصفات في قولـــه: ((سُبْحَانَكَ)) فهذه أنواع التوحيد التي عليهـــا الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

وكذلك تضمّن هذا الدعاء الجليـــل صـــدق العبودية للّه تعالى ربّ العـــالمين مـــن كـــل الوجوه؛ ((فإن التوحيد والتنزيه يتضمّنان إثبات كل كمال للّه تعالى ربّ العالمين، وسلب كلّ نقصٍ، وعيبٍ، وتمثيلٍ عنه، والاعتراف بالظلم يتضمّن إيمان العبـــد بالـــشرع، والثـــواب، والعقاب، ويوجب انكساره، ورجوعه إلى اللّه تعالى، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديتـــه،

وافتقاره إلى ربّه عز وجل فها هنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف)) [1]

وكأنّ لسان حاله يقول: أي يا ربّ أنت الواحد المنفرد بالألوهية، المنزّه عن كل نقصٍ وعيبٍ، ومن ذلك أن ما وقع لي ليس بظلم منك، فأنت الكامل في أسمائك، وصفاتك، المنزّه عن كل سوء، فإني ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي بتعريضي للهلاك، فتضمّن هذا الإقرار: طلب الغفران منه جلّ وعلا، والتجاوز عنه، وإنقاذه ممّا هو فيه من الكرب، والشدة،

---

[1] زاد المعاد، ٤/ ٢٠٨.

بألطف الكلمات، وفي هذا الدعاء من دقائق الأدب، وحسن الطلب، ما يوجب استجابته منها:

ذكر ظلمه لنفسه، وسلك نفسه مسلك الظالمين لأنفسهم، و لم يطلب من اللَّه بصيغة الطلب الصريح أن يغفر له ذنبه؛ لاستشعاره أنه مسيء ظالم، وهو الذي أدخل الضر على نفسه، وأنه تعالى لم يظلمه، فتضمّن الطلب على ألطف وجه[١]

فكأنه يقول: إن تعذبني فبعدلك، و إن تغفر لي فبرحمتك.

---

[١] مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٤٧.

و قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: بـــ(الفاء): التي تفيد التعقيب دون مهلة، وبالإجابة الواسعة العظيمة التي يشير إليها (الألف، والسين، والتاء) الـــتي تفيد المبالغة .

ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: ((يقول جلّ ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانـــا، كـــذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا اســـتغاثوا بنـــا، ودعونا))

وهذه البشارة، والوعد العظيم الذي لا يتخلف من اللَّه ربّ العالمين لكل مؤمن ومؤمنة إذا وقع في الشدائد والهموم ، فدعا ربه القدير بهـــذه

الدعوة العظيمة بصدقٍ وإخلاصٍ أن ينجيه ويفرج عنه.

وجاءت هذه البشارة كذلك عن سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ) فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ))[1]

---

[1] الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن يحيى، برقم ٣٥٠٥، وسنن النسائي الكبرى، كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، برقم ١٠٤١٧، ومسند أحمد، ٣/ ٦٦، برقم ١٤٦٢، وشعب الإيمان

وفي رواية أخرى : ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ أَوْ أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلاَءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فَفَرَّجَ عَنْهُ ؟ فقَالُوا : بَلَـــى ، قَالَ : دُعَاءُ ذِي النُّونِ))؟[1]

للبيهقي، ٢/ ١٣٤، والدعوات الكبير له، ١/ ١٢٦، والمستدرك، ١/ ٥٠٥، بـــرقم ١٨٦٣، ومـــسند أبي يعلى، ٢/ ١١٠، وكشف الأستار عن زوائد البزار، ١/ ٢٥، ومكارم الأخلاق للخرائطـــي، ١/ ٢٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، بـــرقم ٢٧٨٥ وغيره.

[1] سنن النسائي الكبرى، كتاب الجمعة، باب الصلاة بعد الجمعة، برقم ١٠٤١٦، والحـــاكم، ١/ ٥٠٥، وصححه، والدعوات الكبير للبيهقـــي، ١ / ٢٧١،

قال ابن القيم رحمه اللّه: ((أمّا دعوة ذي النون فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للربّ عز وجل ، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهمّ والغمّ، وأبلغ الوسائل إلى اللّه سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج)) [1] وفي هذا الدعاء الذي فيه جوامع الأدب،والكلم الطيب الفوائد الكثيرة، منها:

١- أن الدعاء كما يكون طلباً صريحاً يكون كذلك تعريضاً متضمناً للطلب .

وصححه الألباني في سلسلة الحاديث الصحيحة، برقم ١٧٤٤.

[1] زاد المعاد، ٤/ ٢٠٨.

٢- أن هذه الصيغة جمعت آداب الدعاء، وأسباب الإجابة، فيحسن بالعبد أن يكثر منها حال دعائه، وكربه، وغمومه، وشدائده، كما أخبر بذلك الشارع الحكيم .

٣- هذه الدعوة فيها من كمال التوحيد، والإيمان باللَّه تعالى، الذي ينبغي لكل داع أن يضمن هذه المضامين في أدعيته .

٤- فيه دلالة على أن التسبيح سبب للإنجاء من الكرب والهمّ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [1]

---

[1] الحجر: ٩٧-٩٨

٥- إن التوحيد والإيمان والإقرار بالذنوب من أكبر أسباب النجاة من مهالك الدنيا والآخرة .

٦- إن الذنوب من أعظم الأسباب الموجبة لزوال النعم،وحصول النقم .

٧- ينبغي أن يدعو العبد بحسن ظنٍّ عظيم في حقّ ربه تعالى حال دعائه؛ فإن اللَّه تعالى يعامله على حسب ظنّه به.

٨- إن ما يوقع على العبد من المصائب فإن سببها تقصيره في حق ربه تعالى.

٩- صحّة اعتقاد أهل السنة والجماعة أن التنزيه يتضمّن الكمال والتعظيم للَّه ربّ العالمين؛ فإن قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي أنزهك عن كلِّ سوء، ومن ذلك ما وقع مني؛ فإنه

ليس بظلم منك؛ فإنّك تنزّه عنه، وإنما بسبب جنايتي على نفسي، فدل أن التنزيه يتضمن الثناء والتعظيم من كل الوجوه .

١٠- إن كل الخلق مهما كانت رتبهم ومنزلتهم مفتقرون إلى اللّه تعالى فعليهم أن يفرّوا إليه وحده بالدعاء والرجاء والرغبة والرهبة.

لَوْ رَأَيْتَ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ وَالأَسْرَارِ ، وَقَدْ أَخَذُوا أُهْبَةَ التَّعَبُّدِ فِي الأَسْحَارِ ، وَقَامُوا فِي مَقَامِ الْخَوْفِ عَلَى قَدَمِ الاعْتِذَارِ {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار} .

عَقَدُوا عَزْمَ الصِّيَامِ وَمَا جَاءَ النَّهَارُ ، وَسَجَنُوا الألسنة فليس فيهم مهذار ، وغضوا أبصارهم

ولازموا غَضَّ الأَبْصَارِ ، فَانْظُرْ مَدْحَهُمْ إِلَى أَيْنَ انْتَهَى وصار ، {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار} .

أحزانهم أحزان ثكلى ما لهذا اصْطِبَارٌ ، وَدُمُوعُهُمْ لَوْلا التَّحَرِّي لَقُلْتُ كَالأَنْهَارِ ،وَوُجُوهُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ قَدْ عَلاهَا الصَّفَارُ ، وَالْقَلَقُ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ وَدَارَ ، {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار} .

جدوا في انطلاقهم إلى خلاقهم ، ووطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ على تَحْسِينِ أَخْلاقِهِمْ ، فَإِذَا بِهِمْ قَدْ أَذَابَهُمْ كَرْبُ اشْتِيَاقِهِمْ ، أَتَدْرِي مَا الَّذِي حَبَسَكَ عَنْ لِحَاقِهِمْ: حُبُّ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ. {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار}

أَيْقَظَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَذِهِ السِّنَةِ ، وَرَزَقَنَا اتِّبَاعَ النُّفُوسِ الْمُحْسِنَةِ ، وَآتَانَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حسنة ، ووقانا عذاب النار. واجعلنا ممن قُلتَ فيهم {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه القلوب والأبصار}

* * * *

وَأَخِيرًا

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحْظَى بِمُضَاعَفَةِ هَـذِهِ الأُجُـورِ وَالحَسَنَاتِ فَتَذَكَّرْ قَوْلَ سَيِّدِ البَرِّيَّاتِ: «مَـنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١)

فَطُوبَى لِكُلِّ مَنْ دَلَّ عَلَى هَذَا الخَيْرِ واتَّقَى مَوْلَاهُ، سَوَاءً بِكَلِمَةٍ أَوْ مَوْعِظَةٍ اِبْتَغَى بِهَا وَجْه اللهِ، كَـذَا مِنْ طَبْعِهَا(٢) رَجَاءَ ثوابها وَوَزَّعَهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ، وَمَنْ بَثَّهَا عَبْرَ القَنَـوَاتِ الفَـضَائِيَّةِ، أَوْ شَـبَكَةِ الإِنْتِرْنت العَالَمِيَّةِ، وَمِنْ تَرْجَمَهَا إِلَـى اللُّغَـاتِ الأَجْنَبِيَّةِ، لِتَنْتَفِعَ بِهَا الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ، وَيَكْفِيهُ وَعْدُ سَيِّدِ البَرِّيَّةِ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَـدِيثًا،

---

(١) رواه مسلم:١٣٣

(٢) أى هذه الرسالة

فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُـوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[١]

أَمُوتُ وَيَبْقَى كُلُّ مَا كَتَبْتُه
فَيَالَيْتَ مَنْ قَرَأَ دَعَا لَيَا
عَسَى الإِلَـــهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنَى
وَيَغْفِرَ لِي سُوءَ فَعَالِـــيا

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ الرَحْمَنِ أَحْمَدُ مُصْطَفَى
dr_ahmedmostafa_CP@yahoo.com

(حُقُوقُ الطَّبْعِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ عَدَا مَنْ غَيَّرَ فِيهِ أَوْ اسْتَخْدَمَهُ فِي أَغْرَاضٍ تِجَارِيَّةٍ)

---

(١) رواه الترمذى وصححه الألباني في صحيح الجامع : ٦٧٦٤

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ..... ٢

أذكار مأثورات.. لتفريج الكربات..... ١٠

شهادةُ التَّوحيدِ مُفَرِّجَةٌ للكُرُبَاتِ: ١٠

كَلِمَاتٌ يسيرات . . سببٌ في تفريج الكُرُبات: ١٢

دُعاءٌ عند الخروجِ من البيوت . . هدايةٌ وكفايةٌ ووقايةٌ بإذن ذي العزة والملكوت: ١٤

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين،سبيلٌ لتفـــريج كُرُباتِ المكروبين: ١٩

وَأَخِيرًا ٤١

الفِهْرِسُ..... ٤٣